

عرض لكتاب:

«علم اللغة وصناعة المعجم» للدكتور علي القاسمي

بقلم: الدكتور نايف خرما
جامعة الكويت

فإذا عاد القارئ الى دليل المراجع في آخر الكتاب وجد المرجع المشار اليه والتفاصيل المتعلقة به دون اية صعوبة ، وهذا ، في رأينا ، أسلوب حسن وهو متبع في معظم الكتب الاجنبية في الوقت الحاضر، وحبذا لو استخدمناه في كتبنا العربية ايضا .

اما الفصل الاول من الكتاب فهو في واقع الامر مقدمة الكتاب وعنوانه : علم اللغة والصناعة المعجمية يعرض فيه المؤلف المشكلة التي يحاول المساهمة في حلها وهي في نظره تتركز في وجود « فجوة واسعة بين النظريات اللغوية الحديثة والتطبيقات المعجمية السائدة » (صفحة 12) . ويرجع ذلك الى عدة أسباب أهمها أن المعجم نمت نموا مستقلا عن علم اللغة معتمدة على الاقتناع والتقليد وكانت في معظمها اعمالا تجارية أكثر منها أكاديمية ، كما ان اهمال علماء اللغة الامريكية للدراسات المعجمية حتى وقت متأخر ، وصعوبة تطبيق النظريات ، والتغير السريع في المسرح اللغوي ، واختلاف اللغويين داخل المدرسة الواحدة من الاسباب الاخرى التي ساهمت في توسيع الفجوة .

ثم يشير المؤلف الى الاهتمام الحديث بصناعة المعجم منذ الستينات . وينتقل الى أهمية بحثه من حيث انه من الدراسات القليلة في الموضوع على نطاق عالمي، وربما كان الأول والوحيد في الموضوع باللغة العربية، وبعد ذلك يذكر محتويات الفصول الأخرى من الكتاب .

ويلقى الفصل الثاني الضوء على تصانيف المعجم السابقة وتقسيماتها : ويذكر منها أربعة رئيسية هي تصنيفات ششربا وسيوك ومالكيل والنري .

يتألف الكتاب من تهديد قصير « 3 صفحات » وخمسة فصول وأربعة ملاحق ويتناول التهديد بايجاز شديد الحاجة الى بحث في الصناعة المعجمية الثنائية اللغة لعدم توافر أي بحث سابق باللغة العربية في هذا الموضوع . كما يبين المؤلف أن الكتاب مبني على بحث باللغة الانجليزية كان حينئذ تحت الطبع في دار بريل بليدن بألمانيا ونشر فيما بعد عام 1977 تحت عنوان : Linguistics and Bilingual Dictionaries .

والواقع أن النص العربي يكاد يكون ترجمة حرفية للنص الانجليزي ، فيما عدا بعض الحواشي والملاحظات التي تلزم القارئ العربي ولا تلزم القارئ الأجنبي ، كذلك الحواشي التي اضافها المؤلف عن المدارس اللغوية المختلفة (صفحات 15 ، 16 ، 17 ، 18) ، كما ان النسخة العربية قد تخلصت من كثير من الاشارات الى المراجع التي تزخر بها حواشي النص الانجليزي وذلك باتباع طريقة أكثر يسراً . فقد رقم المؤلف دليل المراجع في نهاية الكتاب بأرقام سلسلة (علاوة على تسلسلها الأبجدي) وجعل الاشارة الى أحد تلك المراجع بذكر رقم المرجع نسي . ثم أرقام الصفحات المراد الاشارة الى أحد تلك المراجع بذكر رقم المرجع في الدليل ، ثم أرقام الصفحات المراد الاشارة اليها وجعل ذلك بين قوسين في ملب النص ، لا في الحاشية ، مثال ذلك :

« في عام 1963 نشر كاتس وفودور نظريتهما في علم الدلالة (190 : 170 - 210) وطالبا بأن تؤلف المعجمات . . . الخ »

ويعد أن يبين أن هذه التصنيفات ليست كبيرة الفائدة بالنسبة للمعجمى يتقدم بتصنيفه الجديد الذى يتخذ من غاية المعجم نقطة انطلاق له . فيجعل المعاجم بموجب هذا المقياس ، سبعة أصناف هى : (1) معاجم للناطقين بلغة المتن ومعاجم للناطقين بلغة الشرح . (2) معاجم للغة المكتوبة ومعاجم للغة المحكية . (3) معاجم للتبصر ومعاجم للفهم . (4) معاجم لاستعمال الناس ومعاجم للترجمة الآلية . (5) معاجم تاريخية ومعاجم وصفية . (6) معاجم لغوية ومعاجم موسوعية . (7) معاجم عامة ومعاجم متخصصة (صفحة 41) .

ويتناول الفصل الثالث المشكلات النحوية فى المعجم الثنائى اللغة ، وتشمل هذه المشكلات النواحى الصوتية علاوة على المشكلات الصرفية والنحوية ، ونوعية المعلومات التى ينبغى أن تتوافر فى المعجم .

ويبحث الفصل الرابع مشكلات الدلالة ويركز على نواح ثلاث هى :

(1) الترجمة من وجهة النظر اللغوية . (2) تمييز معانى الالفاظ المتجانسة او الالفاظ المتعددة المعانى . (3) العلاقة بين الكلمات المشتقة من أصل واحد . ويناقش المؤلف بالنسبة للنقطة الاخيرة ثلاثة اقتراحات لغوية لحل المشكلة ويبين نقاط الضعف فيها ثم يتقدم باقتراحه الخاص .

أما الفصل الخامس فيشتمل على أربع مشاكل أخرى منوعة يواجهها المعجمى هى : (1) كيفية استعمال الالفاظ بموجب العرف والمادة (usage) . (2) الامثلة التوضيحية . (3) الصور والرسوم . (4) علاقة المعجم الثنائى اللغة بدراسة اللغات الاجنبية .

ويتبنى المؤلف هنا وجهة نظر معينة هى أن المعجم الثنائى اللغة ينبغى أن يشتمل « على معلومات كافية تساعد القارئ على الالهام التام بكيفية استخدام الالفاظ طبقا للقول السائد لكل مقام مقال ، والاستفادة بصورة وافية من استخدام الشواهد والرسوم لتوضيح المعانى ، وتبيان سلوك المفردات النحوى والاسطوبى » (ص 26) . وهو يقترح أن « تتحكم الغاية من المعجم فى نوع المعلومات التى يجب تضمينها فيه وفى الكيفية التى تستخدم فيها الشواهد التوضيحية والرسوم » (ص 26) .

ليس هناك أدنى شك بأن كتاب الدكتور القاسمى اضافة قيمة للمكتبة العربية ومحاولة فعالة لوضع معايير وأسس واضحة لصناعة المعاجم الثنائية اللغة . وأهم ما فى الكتاب ، بلاريب ، هو اتخاذ الغاية نقطة انطلاق لصناعة أى معجم ، وهو أمر لم يكن دائما غائبا عن أذهان المعجميين ، الا أن المحاولة الجديدة تهدف الى ايضاح معنى هذه النقطة وانعكاساتها على الانواع المختلفة من المعاجم . ومما يجدر ذكره أن جميع الابحاث التى التقت فى المؤتمر الاخير الذى خصص لصناعة المعاجم والذى عقد فى النصف الثانى من شهر اغسطس عام 1980 بجامعة اكستر بالملكة المتحدة ، وتبني لي أن احضره مع الدكتور القاسمى ، أتول ان جميع الابحاث كانت تركز على هذه النقطة بالذات التى ركز عليها الدكتور القاسمى فى كتابه وهى : الغاية من المعجم ، والجمهور الذى يؤلف المعجم ويوجه له .

والفصل الثانى من الكتاب هو العمود الفقرى ، لان المؤلف يذكر فيه بايجاز المعايير التى يقترح أن يتخذها المعجميون أساسا لصناعة المعاجم المختلفة ولان الفصول اللاحقة تعالج المشكلات المختلفة على ضوء التصنيف المذكور فى هذا الفصل .

ومن أهم ما ينبغى أن نميز به هذا الكتاب عن غيره من الكتب المشابهة سواء فى اللغات الاجنبية أو العربية هو أنه لا يهدف — كما فعل غيره — الى تصنيف المعاجم الموجودة فعلا ، بل هو يهدف الى وضع الاسس لمساعدة المعجميين على وضع معاجم من أنواع مختلفة ، علاوة على مساعدة العلماء والدارسين والطلاب والجمهور على اختيار المعجم المناسب . وهو بهذا يقدم خدمة كبيرة جدا للقارئ العربى .

أما النقطة الاخرى التى لا بد من تسجيلها للمؤلف والتى نوافقه عليها كل الموافقة فهى ما يذكره فى الفصل الخامس من الكتاب عن مشكلة استخدام الالفاظ بحسب العرف والمادة (usage) وهذا ما تحرص عليه كثير من المعاجم الانجليزية / العربية المتوافرة فى الاسواق الآن . والوصول الى هذا الهدف يتأتى جزئيا من ايراد السياق اللغوى (verbal context) لكل معنى من معانى الكلمة الواحدة ، مع الامثلة التوضيحية اللازمة لذلك ، قبل أن يعطى المرادف باللغة العربية لذلك المعنى الواحد . وهذا ما حرصنا على ايراده عند اعدادنا

لمعجم انجليزي /عربي مدرسى يطبع الآن وسيصدر
تريبا تحت اسم معجم العالم العربي (انجليزي /عربي)
The Arab World' English/Arabic Dictionary

أما ما يوصى به المؤلف من ايراد كافة المعلومات
اللازمة التي تساعد القارئ على استخدام كل نقطة
في المقام المناسب (context of situation) فهو اقتراح
رائع لو أمكن تنفيذه فعلا ، ولكنه امر عسير
جدا ، وهو مثل اعلى ننشده جيبعا ، الا أنه امر يستحق
كل جهد وكل محاولة .

ولابد من التنويه أخيراً بالملاحق الاربعة القيمة
التي وردت في نهاية الكتاب . فالملاحق الاول يشتمل على
مجموعة المعايير التي يمكن تحكيمها في تصنيف المعاجم
الثنائية اللغة وتبويبها وهو بهذا يقدم خدمة للمشتري
مستخدم المعجم . أما الملاحق الثاني فانه يضم مراجع
ومصادر الكتاب التي يصل عددها الى (173) مرتبة
حسب الابجدية ومرقمة لتسهيل الاشارة اليها في النص .
كما ان الداخلة جميعها مرتبة بطريقة واحدة منسقة

تكاد تكون خالية من الاخطاء المطبعية . ويهتم الملاحق
الثالث بالموضوعات فهو كشاف لها مرتبة حسب الابجدية
العربية مع ما يقابلها باللغة الانجليزية ، وهو بهذا مسرد
(glossary) للتعبير الفنية في علم اللغة اصبح لا يخلو
منه كتاب في هذا العلم . وليس من السهل هنا الحكم على
سحة المرادف العربي او دقة دلالاته على المعنى المقصود
بالتعبير الانجليزي ، وذلك لعدم توافر تعابير فنية موحدة
باللغة العربية لعلم اللغة الحديث .

ولهذا فان جهد المؤلف في هذا المجال جهد مشكور .
ويختتم الكتاب بالملاحق الرابع الذي هو عبارة عن كشاف
ومسرد للاعلام الواردة في النص .

وفي النهاية فلابد ان نقرر ثانية بأن الكتاب جهد
جبار يستحق المؤلف عليه الشكر والتناء . كما اننا نوصي
المهتمين بالموضوع بالاطلاع عليه ودراسته بعمق بقصد
الاستفادة من بعض المقترحات الرئيسية الواردة فيه ،
وربما الاضافة اليها او تعديل بعضها بما يخدم العلم
والعلماء .